

برل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

تتم العدد ٢٠ ملياً

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

بجدة الأسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستنول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧٨٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ رمضان سنة ١٣٦٧ — ٢ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أدب المقالة

للأستاذ عباس محمود العقاد

نشر الكاتب المطبوع الدكتور ذكي نجيب محمود مجلة من مقالاته في مجموعة سماها باسم إحدى هذه المقالات ، وهي « جنة المبيط » .

ولو شاء الكاتب المطبوع سماها « جهنم المصيف » ، ولم يكن في تسميته خطأ ولا خروج عن صدق الدلالة ؛ لأن هذه المقالات في مجلتها تدل على هذه « الجهنم » التي يمانها المصيف في حياته ، فيترجم عذابها وآهاتها في أسلوب يلوح للقارى كأنه غير أسلوب العذاب والآهات ، وهو منه في الصميم . وذلك هو أسلوب السخرية والمزاح .

لا جرم جعل الدكتور ذكي شرط المقالة أن يكون الأديب ناقماً ، وأن تكون النقمة خفيفة يشيع فيها لون باهت من التفكه الجليل . فإن التمس في مقالة الأديب نقمة على وضع من أوضاع الناس فلم تجدها ، وإن افترقت في مقالة الأديب هذا اللون من الفكاهة الحلوة المستساغة فلم تصبه ، فاعلم أن المقالة ليست من الأدب الرفيع في كثير أو قليل ، مهما تكن بارة الأسلوب رائمة الفكرة . وإن شئت فاقرأ لرب المقالة الإنجليزية أوسن ما كتب ، فلن تجده إلا مازجاً سخوطه بفكاهته ، فكان ذلك

أفضل أدوات الإصلاح .
وإذا كانت المقالة كذلك فسم أدب المقالة جنة المبيط أو جهنم المصيف ، فانت على صواب .

ولكننا نريد أن نقول إن « المقالة » أنواع وليست بنوع واحد ، وإن اسمها في العربية لا يحصرها في هذا النقص الذي أحب الأستاذ أن يقصرها عليه ، ونريد أن نتفاهم على اسم يطابق المقالة كما يعرفها في مقدمة هذه المجموعة على التخصيص .

يقول الأستاذ : إن المقالة يشترط فيها « أن تكون على غير نسق من المنطق : أن تكون أقرب إلى قطعة مشتمة من الأحراش الحوشية ، منها إلى الحديقة المنسقة المنظمة » ... ويقتبس رأى جونسون الذي يرى : « أنها تروية عقلية لا يبين أن يكون لها ضابط من نظام » ... قطعة لا تجري على نسق معلوم ولم يتم هضمها في نفس كاتبها ، وليس الإنشاء النظم من المقالة الأدبية في شيء .

ومما لا خلاف عليه أن هذا التعريف يصدق على نوع من المقالة يزداد شيوعاً بين الغربيين كلما شاعت الصحافة وشاعت معها أساليب الكتابة الماجلة ، ولكنه لا يحصر جميع المقالات الأدبية ، ولا يصدق على جميع الفصول التي تكتب في حيز المقالة المستقلة .

فالكلمات التي تطلق على المقالة في اللغات الأوروبية يوشك أن تفيدها كلها معنى المحاولة والمالجة . فكلمة « Essay » وكلمة « Sketch » وكلمة « Treatise » بل كلمة « Study » ، وهي

تترجم أحياناً بمعنى الدراسة لا يمدد القصد منها في بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التي يوزنها الصقل والإنجاز ، وكلها مستمدة من أساليب معاملة النحت والتصوير ، يريدون بها الرسم الذي يخطط الصورة قبل تلوينها ، أو النموذج الذي يصب النماذج على مثاله ، وينقلونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاشتراط . كأنهم يتفكرون نقد الناقد بهذه التسمية ، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل التعم الذي استوفى نصيبه من الإتيان ، كما فعل الفيلسوف مونتاني أبو المقالة الأوربية ، حين سمي فصوله بالمحاولات ، لأنه يراها دون ما ينتظر من مثله من التحقيق والاستيفاء ، لا لأنه يحقق بها شروطاً يفيد بها الكاتب ولا يجوز له أن يخرج عنها .

وكلمة article وهي أبعد قليلاً من هذا الفرض ، تفيد معنى الفاصلة أو الجزء ، ويقابلها عندنا معنى « الفصل » الذي يستقل بموضوعه ، ولا يشترط فيه أن يكون فصلاً في كتاب مطول تنممه فصول .

لكن هذه المعاني لا تستوعب أغراض المقالات كلها في الكتابة الأوربية أو في الكتابة العربية .

فمقالات باكون وما كولي وأرنولد وسان بيغ ليست كلها من هذا القبيل . بل مقالات « وليام هازليت » نفسه على مساهمته في أدب المقالة كما يبرهنها الدكتور زكي نجيب ، لا تجري كلها على هذا النسق ، وفيها ما هو أشبه بالبحوث والرسائل في حين صغير .

ولا يخفى أن البحث لا يشترط أن يكون كتاباً ضخماً أو كتاباً صغيراً في عدد الصفحات ، فإذا جاز أن يتم البحث في حين مقالة ، فليس ما يمنع انتظامه في عداد المقالات .

لهذا نقول : إننا في حاجة إلى اسم غير اسم المقالة للدلالة على نوع المقالات التي يسميها الأستاذ نجيب .

فهل نسميها المجالة ؟ أو نسميها النبذة ؟ أو نسميها الأحذوتة ؟ أو نسميها الأملية ؟ أو نسميها السامرة ؟

إن اسماً من هذه الأسماء أدل عليها من اسم المقالة على إطلاقه ، وقد عرفنا الأملية والسامرات والنبذة والمجالات في الأدب العربي فربما فيها مسحة من أسلوب المقالة كما شاع بين الأوربيين

في العصر الحديث .

على أنني لا أدري هل أقرظ « جنة البسيط » أو أنقدها حين أقول إنها تشتمل على مقالات لا تنطبق عليها الصفة التي قيد بها كتبها موضوع المقالة الأدبية . ومنها مقالة « أعذب الشعر أصدق » ، ومقالة « عن أدب المقالة » بعد المقدمة ... فإنهما بريثان من فضيلة التثمت والخلو من النسق المنطقي وضابط التنظيم إن صح أنها فضائل مشروطة في جميع المقالات .

إلا أن فيلسوفنا عدو الفلسفة قد استطاع أن يحرص على هذه الفضائل وأن يتجنب المنطق والنظام في بعض المقالات الأخرى فلم يخطئه التوفيق ، لأنه قد استطاع مع ذلك أن يقول شيئاً تزد قراءته ويستجيش الذهن إلى التفكير .

قال في مقال « النساء قوامات » :

« إذا عشت في أمة هائلة حملك الناس محل الهزل إن كنت جاداً ، وأخذوك مأخذ الجد إن كنت مازحاً »

ثم قال : « ولست أرى لك حيلة سوى أن تقسم لهم في مسهل الحديث بالذي يسهل لهم الأرض ورفع السماء أنك فيما تحدثهم به إنما قصدت إلى الجد ولم تقصد إلى المزاح » .

وأحب أن أقول للكاتب الفاضل إنني أعرف هذه الخصلة جد المعرفة ، لأنني كثيراً ما كنت من ضحاياها .

ومن ذاك أنني اقترحت مرة على مسمع من شيوخ عقلاء أن تعتمد الحكومة على تجربة نافعة في كفاح الشيوعية ، وهي إخراج الشيوعيين مرتين في كل يوم « طابورا » واحداً يمر كل يوم في حي من أحياء المدينة ، ليرى الناس بأعينهم أي « خلق مقلبة » هذه التي تريد أن تقلب العالم على من فيه .

فضحك الشيوخ العقلاء .

وكتبت ذلك من قبل ومن بعد ، فضحك القراء الألباء . مع أنني والله جاد فيما أقترح ، ولا أزال مصرأ على هذا الاقتراح

أرى صديقنا الدكتور نجيب أن هذه مقدمة معامشة في صدد الكلام على مقترحاته ؟

ليتمهل قليلاً ... أقل من لحظة واحدة ، لأنني سأقول له على الأثر إنني أحسبه مازحاً فيما كتب ، وأحسبه محققاً لشرط